فقدان الخصوصية في تخطيط المدينة العربية الاسلامية

- مدينة كربلاء انموذجاً –

ا.م.د. عبد الجليل ضاري عطاالله / كلية التربية / قسم الجغرافية

المقدمة:

تعد الخصوصية احد اهم مميزات المدينة العربية الاسلامية ,والذي يتمثل في طبيعة الفن المعماري العربي المستخدم في محلات المدينة ووحداتها السكنية واسواقها وشوارعها.والذي يعبر عن فهم المعمار العربي للمناخ والبيئة العربية,ومعرفته العميقة بالحياة الاجتماعية للعائلة العربية ونوعية احتياجاتها وطبيعة علاقاتها المتميزة وقوة الارتباط الاسري.

ان العلاقة الوثيقة بين التواصل في العمارة والموقف من الموروث الحضاري المعماري والنظرة الى التاريخ بشكل عام وتاريخ العمارة بشكل خاص.فالارث الحضاري يمثل جسر للتواصل يتم من خلاله انتقال الحضارة من جيل لاخر.وان

فقداننا لهذا الموروث المعماري الذي تزخر به المدينة العربية يعني فقداننا لجزء اساسي من مقومات حضارتنا.وان حدث الانفصال عن الموروث سوف يؤدي لنتائج خطيرة,منها فقداننا للتوجيه ونقاط الدلالة التي تحدد الطريق.وان تغيير نمط العمارة وفن البناء قد يؤدي الى حدوث حالة انفصال عن المجتمع ومسيرته الحضارية.

تعد مدينة كربلاء المقدسة من المدن العربية الاسلامية التي تمتاز بخصوصية دينية ومعمارية ,وهي تمثل الى جانب خصوصيتها احتضانها للاجساد الطاهرة من اهل البيت(عليهم السلام)الذين استشهدوا في معركة الطف الخالدة.لذلك فان المحافظة على الارث المعماري والحضاري الذي تمثله المدينة مسؤولية وطنية,وان التشويه الذي تعرضت اليه يمثل تخبط عمراني قد يعود لعوامل اقتصادية همها الربح السريع,سواء لبعض المتنفذين او الشركات الاستثمارية,او لاسباب انتخابية هدفها كسب اصوات سكان الاحياء العشوائية ,الذين سمح لهم بتشويه تخطيط المدينة.

المبحث الاول:الاطار النظري للبحث

1-مشكلة البحث:

2- مشكلة البحث تتمثل في اهمية ايقاف التشويه الذي تعاني منه المدينة العربية الاسلامية,بسبب اعداد مخططات اساسية غير مناسبة,وباشراف شركات هندسية تخطيطية اجنبية,ومدينة كربلاء تعرضت الى عملية تغيير في معالمها العمرانية,مما ادى الى تمزيق الوحدة العمرانية في المدينة,وضياع الكثير من الابنية التاريخية والدينية في المدينة.كما انتشرت الاحياء العشوائية في المدينة,وشوهت شكل المدينة وخصوصيتها التاريخية.

2-اهمية البحث:

ان اهمية البحث تنحصر في.

ا-بيان اهمية المحافظة على الموروث الحضاري عامة والمعماري خاصة في مدينة كربلاء المقدسة.

ب- منع الهدم المتعمد للبيوت التراثية والابنية التاريخية في المدينة.

ج- العمل على اعادة تخطيط المدينة بما يحقق المحافظة على المدينة القديمة ومعالمها العمرانية المتميزة.

د- ايجاد الحلول المناسبة لمشكلة المتجاوزين في احياء المدينة

3-فرضية البحث:

بدات المدينة تعاني من مشاكل تخطيطية عديدة ,تهدد الهوية الحضارية للمدينة وموروثها المعماري,واذا استمرت عملية التوسع الحضري بدون سيطرة بلدية وتخطيطية,سوف تصبح مدينة مشوهة وبدون هوية معمارية.

4-منهجية البحث:

لقد اتبع المنهج الوصفي في الدراسة وتم رصد التغيرات المعمارية التي تعرضت لها المدينة وانتشار المحلات العشوائية.كما استخدم المنهج التحليلي في نقد وتحليل الممارسات التخطيطية الخاطئة.

-الحدود المكانية والزمانية:

تتمثل الحدود المكانية في الحدود البلدية الحالية لمدينة كربلاء,اما الفترة الزمانية فتمتد ما بين 2003 وعام 2012.

المبحث الثاني: نشاة المدن و ظاهرة النمو الحضري

1-تطور الاستيطان ونشاة المدن

ارتباط الانسان منذ ان خلقه الله بالارض , اذ تمثل مصدر ملبسه ومسكنه وممارسة نشاطاته المختلفة . حيث كان الطين والحجارة واغصان الشجر وجذوعه المواد الاساسية في بناء مسكن الانسان ,عندما بدا استقراره في مواقع محددة من العالم بعد ان كان الناس يتجولون في ربوع الطبيعة بحثا عن الطعام او الماوى الامن مثل الكهوف والمغارات , وكانت مناطق الاستقرار ذات خصائص متميزة , اذ يتوفر فيها مياه وتربة خصبة ومناخ معتدل , ولهذا استمر الاستيطان في مثل تلك الاماكن ,وتطور تدريجيا حتى اصبحت مهدا للحضارات الاولى التي انطلق منها الاشعاع الحضاري الى كل ارجاء المعمورة . وقد استمر هذا الاستيطان بنوعيه الدائم والمتنقل الى يومنا هذا ,.بمرور الزمن ازداد عدد السكان و ازداد عدد مراكز الاستيطان البشري , ونتج عن ذلك ممارسة

انشطة متنوعة وبالدرجة الاولى النشاط الزراعي حتى زاد انتاج بعض المناطق من المنتجات الزراعية والحيوانية بما يفوق حاجة سكانها ,مما شجع على ممارسة ألتجارة لهذا ظهر مبدأ المقايضة وهو اول اشكال التعامل التجاري والذي اتسع نطاقه قبل ظهور العملات النقدية ليشمل مساحة واسعة من المناطق والاقاليم ,التي تربط بينها طرق برية عن طرق القوافل او النقل المائي ,و كان اللقاء في بعض مراكز الاستيطان التي يسهل الوصل اليها ليتم تبادل السلع ,لذا اسهمت هذه العلمية في تطور مراكز الاستيطان,حيث امكن ظهور ابنية جديدة لخدمة التجار وتوفير سكن لهم وخزن بضاعتهم.كما بدأت تظهر بعض الحرف الاخرى التي يعتمد بعضها على تلك المنتجات او لإنتاج بعض المعدات البسيطة التي تستخدم في الانتاج , واستمرت تلك المسوطنات في اداء وظائف متعددة لسكانها وسكان المستوطنات الاخرى,حيث تمت الاستفادة من بعضها كمحطات استراحة للمسافرين من منطقة لأخرى عبر تلك المستوطنات لأنها تمثل مناطق امنه وتتوفر فيها مستلزمات الراحة .وبمرور الزمن تحولت تلك المراكز الاستيطانية الى مناطق استقرار للسكان الرحل .واخذ يدب في مثل تلك المناطق الرتابة والتنظيم وظهور مراكز الإدارة والجيش ورجال الدين , فأصبحت تلك المستوطنات متميزة عن غيرها ,والتي تمثل اولى اشكال الاستيطان الحضري الذي انتشر في كل ارجاء الارض بإشكاله البسيطة ومواقعه المتباينة.

وقد نشأت المدن في المناطق التي تتوفر فيها فرص معيشة متنوعة مع تنوع اساليب الحياة و اماكن لأقامة الناس والعمل والتمتع بعلاقات دائمة ومتميزة ضمن المنطقة الحضرية ,وقد كانت المدينة بسيطة وصغيرة الحجم وغير مزدحمة وتتمتع بجانب كبير من خصائص البيئة الريفية , ثم تطورت المدن بمرور الزمن واصبحت ذات كثافة عالية و مزدحمة بالأنشطة المتنوعة والمتنافسة والمؤسسات الصناعية الضخمة والشوارع وما ينتج عنها من مشاكل بيئية واجتماعية واقتصادية .

وظهرت المدن فيما بعد وفق مخططات رسمت لها بعد ان كانت في البداية وريثة استيطان ريفي تطور بمرور الزمن وبشكل غير منتظم ومخطط حيث تقام الابنية على جانبي الطرق بشكل غير منتظم دون ان تحافظ على استقامة الطريق وسعته.

وتعد المدينة المخططة افضل بيئة استطاع الانسان ان يستغل عناصر الطبيعة المختلفة في توفيرها مسخرا كل ابداعاته وفكاره في سبيل اظهار المكونات التخطيطية والعمرانية بشكل مسخر مع الخصائص الطبيعية للموقع ,ومتميزة من غيرها في الاماكن الاخرى ,وذلك الفسن المعماري متباينا من مكان لو من زمن الاخر ,ولهذا يمثل تراثا حضاريا يعبر عن ثقافة الاجيال التي اقامته وقد اتسعت بعض المدن بشكل متميز عن غيرها وظهرت انماط متنوعة من السكن كلا حياء الراقية والمتوسطة والمتدنية ,وبدات الانشطة الرئيسية تتنافس فيما بينها داخل المدينة كالتجارة والصناعة وعلى حساب الاستعمال السكني . ان قيام المدن لم يكن اعتباطا بل لاداء خدمة معينة في بادىء الامر , ادارية ,عسكرية , اقتصادية ,دينية ,الا ان الخدمات تنوعت بمرور الزمن ما زاد من اهمية المدن .

2-النمو الحضري :

يعد النمو الحضري من اهم ظواهر العصر , وهو يعبر عن طبيعة السكان ورغبتهم في التحضر والهجرة الى المدن,و يؤثر الموقع في تحديد سرعة النمو الحضري .

لقد اتخذت المدن مواقع ومواضع مختلفة عبر العصور والأزمنة ذات خصائص ملائمة لقيامها في ذلك الوقت ,الا ان تنوع الانشطة وتوسعها و التضرس جعلت بعض تلك المواضع غير ملائمة .لقد توسعت مدينة كربلاءبشكل كبير وخاصة بعد احداث 2003,كما انتشرت المساكن العشوائية في داخل الدينة وفي اطرافها.

الوضع (site)والموقع (location)

أ_ الموضع. هو المكان او المساحة الذي تشغله المدينة فعلا وتتركز فوقه ابنيتها ومنشاتها العمرانية وانشطتها المختلفة بما يتلائم وخصائصه الطبيعية كالوضع الطوبوغرافي وطبيعة الانحدار والتكوينات السطحية وتحت السطحية (التربة و الصخور) والوضع الهيدرولوجي والمناخ .

ب_ا لموقع : ويعني الموقع بالنسبة للظواهر الطبيعية كالجبال والسهول والوديان و الانهار والبحار والمحيطات , وقد تنوعت مواقع المدن نتيجة لتنوع مظاهر السطح ومنها ما يأتي :

_ الموقع البؤري :موقع المدينة فوق منطقة سهلية او قرب مركزها حيث تلتقي عندها طرق المواصلات من جهات مختلفة مثل موقع مدينة بغداد.

_الموقع العقدي : الموقع عند عقدة طبيعية او ملتقى ظواهر طبيعية كالممرات الجبلية والوديان او ملتقى الانهار او الانهار بالبحار وغير ذلك,كموقع القاهرة.

_الموقع الداخلي : وتعني الموقع بالنسة للجبهة البحرية حيث تسمى المواقع البعيدة على البحار والمحيطات بالداخلية ,وكذالك المواقع البعيدة عن الممرات الجبلية .مثل موقع مدينة دمشق او مدينة عمان.

_الموقع المركزي : وتتمثل بمواقع التي تتوسط اقليم معين ,قد يكون شكله دائري او مربع .فتكون المستقرات البشرية على مسافات متقاربة من مركزالاقليم ,مثل موقع مدينة برلين في المانيا.

_الموقع الهامشي : ويظهر في المناق النائية او المتطرفة عن مركز الاقليم . وهذا المواقع اقل اهمية من الموقع المركزي(1).مثل موقع مدينة الرطبة في العراق.

ان اهمية المواضع والمواقع للمدن كبيرة ,حيث انها تلعب دور فاعل في النمو العمراني للمستقرات البشرية ,كما انها تؤثر في امكانات التوسع الحضري ,فضلا عن انها تؤثر على اعداد المخططات الاسسية للمدن ,كذلك فانها تحدد شكل المدينة و مورفولوجيتها .فضلا عن انها تحدد حجم خطط التنمية والاعمار.

ان النمو الحضري ظاهرة حضرية مستمرة,تعني تزايد اعداد السكان الحضر بشكل تدريجي,وهو يعكس تزايد التعقيد الاقتصادي والاجتماعي للمدن,والذي يمثل استجابة لظروف اجتماعية وثقافية وجغرافية في فترات تاريخية متعاقبة(2).

ان كل مرحلة من مراحل النمو الحضري كانت المدينة تعكس في اساسها الوظيفي وفي طبيعة وخصائص تنظيمها الاجتماعي والايكولوجي,طبيعة المرحلة التكنولوجية السائدة.

1)جمال حمدان ,جغرافية المدن ,عالم الكتب ,القاهرة ,1972,ص66.

2)السيد عبد العاطي السيد,علم الاجتماع الحضري-مداخل نظرية- دار المعرفة الجامعية, الاسكندرية,1988,ص123.

ولا يقتصر التحضر على تزايد احجام وسائل المدن بل لابد من توافر القدرات و الامكانات الملائمة ,والتي تتمثل اساسا في خصائص السكان ,وما يمكن ان يجوز في بيئتهم اعتمادا على الوسائل المادية التي يمتلكونها ,وعلى التنظيم الاجتماعي الذي يطورنه بينهم ,والذي يؤدي في النهاية الى توافق .وعلى ذلك ان حجم التحضر ومداه يتوقف ,الى جانب تزايد اعداد السكان الحضر ,على

القدرة التكنولوجية والتنظيمية لسكان المدينة ,خاصة اذ نظرنا الى التحضر على انه طريقة لتنظيم حياة السكان بهدف تحقيق مستوى معيشي وامني معين داخل بيئة محددة .

3-خصائص المدينة الاسلامية :

تشترك المدن الاسلامي ببعض الخصائص والصفات العامة التي تميزت بها من المدن في الاماكن الاخرى , والتي كانت انعكاسا للحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية في ذلك الوقت , من تلك الخصائص ما ياتي :

1-المسجد: وتمثلها المركز الديني الثقافي الاداري,لذا يحتل وسط المدينة في اغلب المدن الاسلامية .وتتمتع مدينة كربلاء باحتوائها على المئات من الجوامع التي تشمخ بمآذنها,واشهرها جامع الحسن وجامع العباس وجامع علي الهادي(عليهم السلام).

2-الساحات العامة: يرتبط وجود الساحات بالمساجد الجامعة ووظيفتها لممارسة الانشطة الجماعية الدنية والاجتماعية السياسية والتجارية التي تعد من الانشطة الغالبة على غيرها ,اذ تحتل المحال التجارية جيزا كبيرا حول الساحات .

3-الاسواق العامة: تعد من العناصر المهمة في تخطيط المدينة وتقع عند ملتقى الطرف وخاصة عند مركز المدينة ومن مميزاتها تكون مسقفة وضيقة لحماية المار من الحر والبرد والتساقط.ومن اسواق المدينة سوق المخضر في محلة باي الخان وسوق الزينبية وسوق باب السلالمة في شارع صاحب الزمان(1).

وتكون المحلات صغيرة المساحة ,كما يظهر فيها التخصص مثل سوق العطارين و البزازين والحدادين والنجارين .اما الشوارع الرئيسة والفرعية فكانت ضيقة عموما , وبعض الفرعية مغلقة .

---

1) سمير خليل شمطو,دليل كربلاء السياحي2011,مطبعة الطف,كربلاء المقدسة,ص149.

4-سيادة نظام المحلية السكنية تخطيطيا واجتماعيا

وهذا ساعد على اقامة علاقات اجتماعية متينة تسفتقر لها المدن الحالية ,وتكون الابنية بسيطة في ظهرها وبديعة في جوهرها لانها منسجمة مع كل الظروف

5- الفن العماري المتميز :

تتضمن الابنية العامة حسب نوع الابنية و اهميتها فنا معماريا متميزا عن غيرة في جميع انحاء العالم ويظهر ذلك واضحا في واجهات الابنية وفي داخلها , ان الاستخدام الواسع لمادة الاجر كمادة بناية متوارثة في بلاد الرافدين التي استخدمت في بناء الاسس والجدران وتبليط الارضيات وبناء الاعمدة (1) وهذا واضحا في جميع الدول الاسلامية.

6-اتجاه الابنية

ان تخطيط معظم الدول الاسلامية جاء منسجما مع البيئة , حيث يتم توجيه كل الابنية في الاتجاهات التي تضمن دخول الهواء الى المبنى وتقلل من شدة اشعة الشمس ,كما كانت الابنية تفتح الى الداخل اي يكون الفراغ الى الداخل وليس الى الخارج وهذا يعبرعن طبيعة الحياة الاجتماعية والظروف البيئية , حيث يتركز نشاط الاسرة في ساحة البيت التي تتوزع حولها غرف لاغراض مختلفة. الاستقبال والمطبخ والنوم والحمام ,كما تكون الابنية متلاصقة للحد من تاثير العناصر المناخية .

7- علاقة الابنية بالشارع

ان امتداد الابنية على جانبي الشوارع من الملامح الهمرانية التي تظهر واضحة في تخطيط المدن الاسلامية حيث تتراجع تلك الابنية عن الشارع في الطوابق الارضيه في حين تبرز الادوار العليا باتجاه الشوارع , ويتحقق من ذلك الاستفادة من الفراغ العلوي في زيادة مساحة المبنى وتوفير الظل للمارة للحماية من الظروف المناخية وهذا ما يظهر حتى في الابنية الحالية

1) جنان عبد الوهاب عبد الرزاق , جدلية التواصل في العمارة العراقية , دار الشؤون الثقافية العامة ,بغداد ,2003.ص322.

8- معالجة الظروف المناخية:تتضمن المدن العربية القديمة افضل المعالجات المناخية ويظهر ذلك في جوانب تخطيطية ومعمارية,التخطيطية تتمثل في توجيه الابنية في اتجاهات التي تتلاءم مع

الظروف الناخية وتستخدم المشربيات و الشناشيل لغرض تنظيم دخول اشعة الشمس الى المبنى كما انها تحجب الرؤية من الخارج, وتصنع من الخشب والقصب سابقا ومن المعادن حاليا . اما معماريا فيكون من خلال ارتفاع المبنى لاحداث دورة هوائية بداخله , وعمل فتحات لضمان دخول الهواء حيث ساد نظام متميزو المتمثل بالملاقف وتكون عبارة عن فتحات تمتد من اعلى المنى الى اسفله ضمن بناء الحائط الداخل لنقل الهواء من خارج المنى الى داخله وتسمى في بعض الاحيان الباجدير,كما ان الاقواس المسقفة مثل طاق الزعفراني في كربلاء يمثل نوعا من التكيف العمراني لمناخ المنطقة.

9-التشكيلات الهندسة :تتوفر في العمارة الاسلامية تكونيات واشكال هندسية تظهر واضحة في التفاصيل المعمارية الدقيقة التي تمثل العناصر الاساسية للتكوينات الكبيرة والتي تضهر على شكل تقسيمات هندسية متداخلة تستخدم في الاجزاء المفتوحة والمقفلة- وفي الابواب والنوافذ وزخرفة الواجهات والحيطان الداخلية ,وذلك باستخدام مواد مختلفة .

10_ تنسيق المواقع: ان تنسيق المواقع العمرانية يكون منسجما مع الظروف المناخية والبيئية وذلك بعمل الفناء الداخلي داخل الوحدة البنائية وذلك من اجل تحقيق تهوية وحركة لرياح داخل غرف المسكن ,كما يتضمن اقامة نافورات ماء واشجار وذلك لتحسين الوضع البيئي والجانب الجمالي للمبنى .

11-تنوع اساليب البناء : تمتاز العمارة الاسلامية بتنوع اساليب البناء المستخدمة وذلك نتيجة لتنوع الخصائص الطبيعية والحياة الاجتماعية في مختلف الولايات الاسلامية الواسعة . كما ظهرت تشكيلات معمارية متباينة وحسب نوع المادة المستخدمة في الهيكل البنائي كالحجر والطابوق والبن والنورة والجبس (1) وقد تجسد الفن المعماري الاسلامي في المدن التي نشئت في تلك الفترة ,مثل مدينة بغداد والتي تعد من المدن الاسلامية النموذجية والتي تم تخطيطها لتكون عاصمة الدولة الاسلامية, اذ امر الخليفة ابو جعفر المنصور ببنائها عام 145ه.على الضفة اليسرى لنهر الفرات وتم تخطيطها بشكل مدور ,ويحيط بها اسوار وخندق .ويتضمن مخطط المدينة اربعة شوارع رئيسة ,تنتهي عند اسوار المدينة حيث ابوابها المتجهة نحو (الكوفة-البصرة _خرسان-سورية-نينوى).

1-خلف حسين علي الدليمي,التخطيط الحضري ,دار الثقافة,عمان 2002, ص33

كان يتوسط المدينة مسجد كبير والى جانبه قصر الحاكم ودواوين الحكومة ام مساكن المدينة فقدتنوعت حسب مستويات ساكنيها كالحاشية والموالين للحاكم والقبائل الرئيسية في المنطقة وعامة الناس .كما توجد مناطق للاسواق والاستعمالات التجارية فضلا عن المناطق الترفيهية .ينظر شكل (1).وكانت مدينة عامرة بسكانها واسواقها .

شكل (1)تخطيط مدينة المنصور المدورة –بغداد

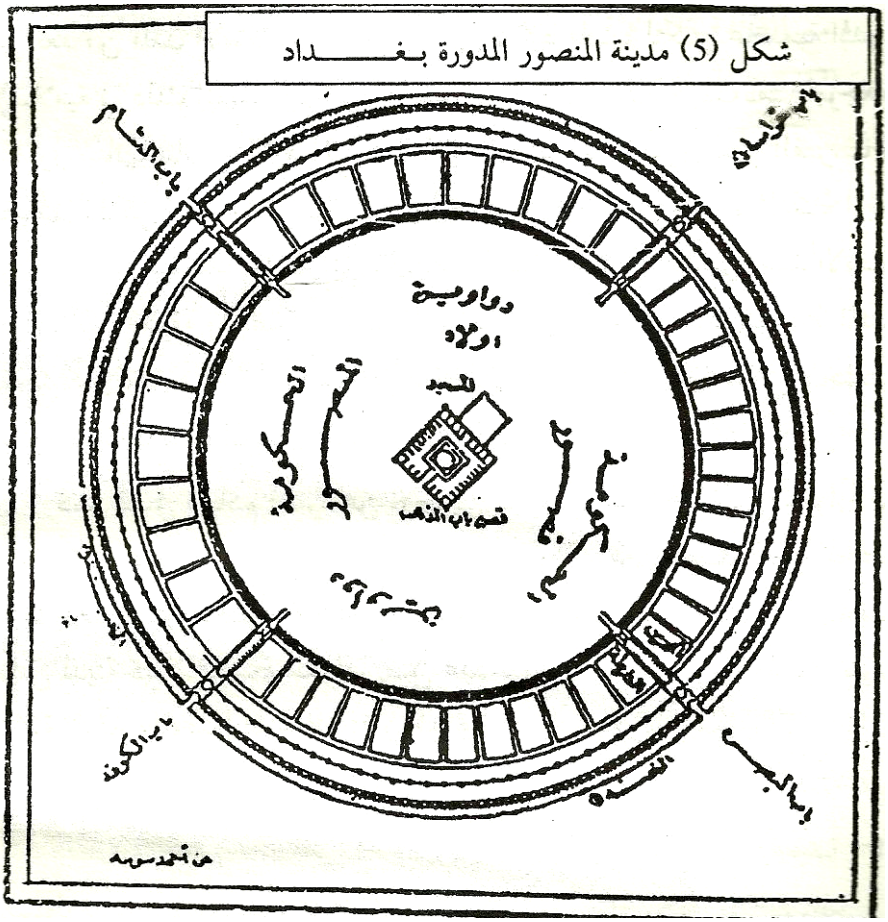

المبحث الثالث. مدينة كربلاء

1-تاريخ المدينة:

كربلاء مدينة اسلامية مشهورة قبل الاسلام بزمن بعيد,تمتاز بقدسيتها الدينية وتاريخها الحافل ,وقدشهدت ارضها حادثة(معركة الطف الخالدة) والتي استشهد فيها الامام الحسين (ع)واهل بيته الكرام واصحابه المجاهدين.

تقع المدينة على خط طول 44درجة واربعين دقيقة شرقا وعلى خط عرض 33درجة و31دقيقة شمالا .ويحدها من الشمال محافظة الانبار ومن الجنوب محافظة النجف ومن الغرب المملكة العربية السعودية ومن الشرق محافظة بابل وبغداد.

في 12 محرم عام 61ه وبعد واقعة الطف بيومين حيث دفن بنو اسد رفات الامام الحسين ((ع) واخيه العباس (ع) وصحبه الميامين. وفي سنة 247ه اعاد المنتصر العباسي بناء المشاهد في كربلاء وبنى بعض الدور السكنية حولها ,وذلك بعد ان قتل ابيه المتوكل الذي عبث بالمدينة وهدم معالمها .وفي 372ه شيد اول سور للمدينة وقدرت مساحته 240م.زفي سنة 412ه اقام الوزير الحسن بن الفضل بن سهلان ببناء السور الثاني للمدينة ,ونصب في جوانبه 4ابواب.وفي سنة 941ه زار الشاه اسماعيل الصفوي كربلاء وحفر نهراء دارسا وجدد وعمر المشهد الحسيني ._وفي سنة 953ه اصلحة سليمان القانوني الضريحين فاحالة الحقول التي غطتها الرمال الى جنان .

وفي اوئل القرن التاسع عشر الميلادي زار كربلاء احد ملوك الهند وبنى فيها اسواقا جميلة وبيوت ,كما بنى سورا منيعا للبلدة

وفي سنة 1285ه وفي عهد الوالدي مدحت باشا بنيت الدوارئر الحكومبة وتم توسيع واضافة العديد من الاسواق والمباني كما بنيت محلة جديدة سميت بالعباسب وبعد الحرب العالمية الاولى انشئت المباني الحصرية في المدينة كما انشئت الشوارع العريضة وجففت الاراضي المغمورة بالمياه عن طريق مبزل لسحب المياه المحيطة بها(1).

(1)سليم مطر واخرون ,موسوعة المدائن العراقية , مركزدراسات الامة العراقية ,بغداد,2005,ص 27.

2-التطور التاريخي والحضري (للمدينة القديمة):

مرت مدينة كربلاء من تاريخ استشهاد الامام الحسين (ع) وحتى الوقت الحاضر بمراحل مورفولوجية عديدة يمكن تقسيمها الى المراحل الاتية :

المرحلة اولى (مرحلة النشوء) 682_1869 م:

بعد استشهاد الامام الحسين (ع) بيومين سنة 61 هجرية/ 782 ميلادية وضعت جماعية من بني اسد بعد دفن استشهاد الامام الحسين (ع) بعض المعالم على قبره وكتب الامام زيد العابدين (ع)على هذا القبر بعد حضور الى مراسيل الدفن بالإعجاز , هذا قبر الامام الحسين بن علي الذي قتل عطشانا واخذ الزوار من ذلك التاريخ يؤمون القبر الشريف .وفي سنة 65 هجرية /686 ميلادية بنيت على القبر قبة من الاجر و الجص وبني حوله عدد من دور وبذلك حجر الاساسي لمدينة كربلاء الحالية ، ينظر صورة (1) .

وفي سنة 1013 هجرية /1604 ميلادية احتوت المدينة على اربعة ألافبيت وكانت اسواقها مبنية بناء محكما بالأجر مليئة بالسلع التجارية ,وفي مسار تطورها تكاملت المدينة القديمة 1014هجرية/ 1605 ميلادية بحاراتها وازقتها الضيقة التي تتصل بصحني المرق دين بعد ان ضافت بسكانها وهدم سورها فاتسعت المدينة على شكل بيضوي يحيط بمنطقة المقدين من جهة والمخيم من جهة والمخيم من جهة اخرى.ولكن سرعان ماعيد بناء السور عام 1217 هجرية /1802 ميلادية على شكل دائربستة ابواب رئسيه سميت باسم المحلات القريبة منها,اما قبل 1217هجرية فقد كانت كربلاء تحتوي على ثلاثة اطراف فقط, هي محلات ال فائز ,وال زحيك , وال عيسى (طعمة,2001,ص 15). اذا يمكن القول ان المدينة لم تعرف العمران الا خلال القرن الثالث الهجري حيث شيدت الاسواق و الدور المتراصة وتعد هذه المرحله بداية نشوء المدينة التي شيدت للاسباب الدينية.

المرحلة الثانية (بداية التوسيع)1870-1947م

توسعت مدينة كربلاء عمرانيا سنة1870 و امتدت نحوالجنوب بعد ان هدم سورها من جهة باب النجف في عهد الوالي متحد باشة . حيث بنيت المحلة الجيدة والتي عرفت(بعباسية)والتي امتددت وتوسعت كثرا ,وتوسعت وانقسمت الى قسمي هما العباسية الغربية والعباسية الشرقية ,وقد جاء هذا التوسع في تخطيط المدينة استجابة

صورة (1) المشهد الحسيني الشريف في مدينة كربلاء

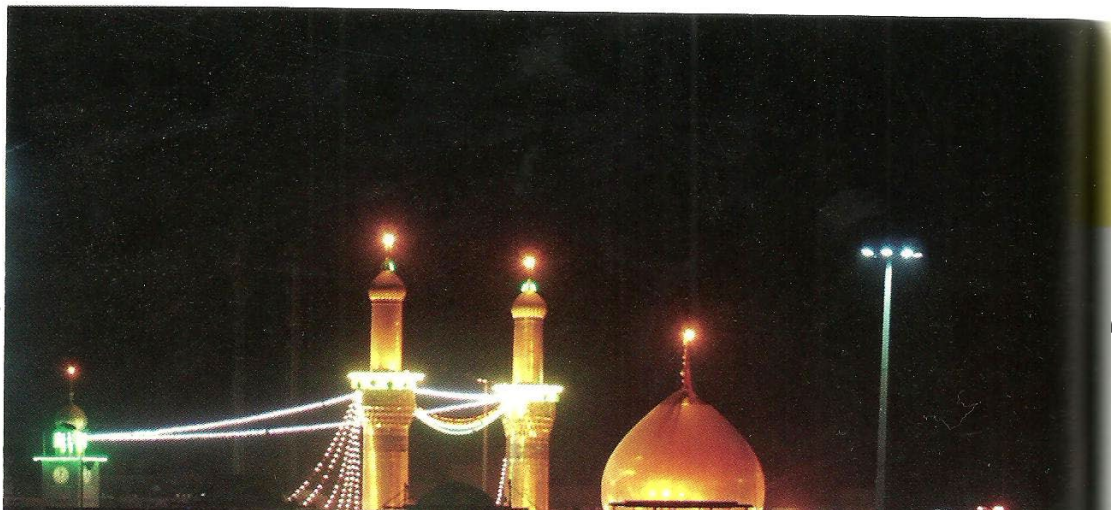

(تحت 7
معرفة

لنمو عدد سكان وتطور هي ,وتمثل التوسع بتطوير محلة جديدة من خلال فرز الاراضي وتوفير الخدمات (1) .

وفي عام 1916 فتح شارع قبلت العباس للمرة الاولى ,ود من باب صحن الشريف حتى مركز المدينة,فكان اول شارع مستقيم شقة في المركز التقليدي للمدينة ورتبط بجزء الحديث المظاف لمدينة ذي النظام الشبكي المتعامد , وهو اول دخول لنظام الخطي من مسارات الحركة في مركز المدينة التقليدي (2).

وشهد مركز المدينة التقليدي في عام 1935 م شق شارع الامام علي الذي يربط شمالي المدينة بجنوبها ,وشارع علي الاكبر الذي يربط صحني المرقدين ببعضهما .فكان هذان الشارعان انموذجا اخر للنظام الخطي الذي احترق نسيج المدينة التقليدية في كربلاء. وحتى العام 1947م كان لمحطة القطار

اثر في استقطاب توسع المدينة خارج حدود مركزها التقايدي. توسعت المساحة المشغولة بالسكن ضمن التوسيع الجديد للمدينة في هذه المرحلة وظهرت بعض الاستعمالات الادارية فيه واستمرت الوظيفة الاساسية للمدينة متمثلة بالوظيفة الدنية القائمة على وجود

المرقدين اللذين يعدان المولد والمحرك لمختلف النشاطات الاقتصادية والاجتماعية للمدينة.

---

1) - رؤوف محمد علي الانصاري ,عمارة كربلاء_دراسة عمرانية وتخطيطية , مؤسسة الصالحاني للطباعة , دمشق ,2006,ص106.

2) مصطفى عبد الجليل القرغولي , دراسة وتحليل التفاعل الوظيفي بين استعمالات الارض الحضرية ,اطروحة دكتوراه في معهد التخطيط الحضري واقليمي ,جامعة بغداد ,2004,

المرحلة الثالثة(التوسع)1948-2004

شهدت المرحلة الثالثة من مراحل تطور مدينة كربلاء عمليات ازالة للنسيج الحضري الكثيف في مركز المدينة متمثلا بفتح الشارع المحيط بمرقد الامام الحسين (ع) في العام 1948 وتبعه في عام 1949 م شق شارع الحسين (باب القبلة) ثم المنطقة المحيطة بمرقد العباس (ع) في العام 1955م.(1).

ان توسع المدينة بدء بالتوسع نحو اطراف المدينة وبسرعة واضحة,حيث زاد عدد سكان المدينة وبنيت احياء سكنية ومنشات حديثة.وبعد عام1968 توسعت المدينة باتجاه الغرب والجنوب,وذلك

لوجود البساتين والاراضي الزراعية في شمال وشرق المدينة.فضلا عن عن التوسع في فعاليات التجارية ونمو الفعاليات الصناعية وزيادة اعداد وصائد النقل وتحسين شبكة الطرق والذي ادى الى تزايد اهمية المدينة كونها مركز دينيا وحضريا (2).ففي سبعينات القرن الماضي شقت المزيد من الشوارع خاصة بعد ان نفذت فكرة (تطوير) المنطقة القديمة (مابين الحرمين الشريفين) من قبل هيئة التخطيط العمراني,عام (1977م).نتيجة لازدياد وتدفق مجاميع بشرية جديدة اخرى من القرى و الاياف وبعض المدن العراقية الاخرى بسبب الحرب العراقية الايرانية سنة 1980, بلغ عدد سكان مدنية كربلاء سنة 1985 م 547 الف نسمة ,بعد ان كان عدد سكانها سنة 1971م (102,213)الف نسبة اي بلغت نسبة الزيادة خلال 14سنة 81%. وهذا يقتصر على المدينة وليس على اقضيتها ونواحيها كمحافظة .وقد تزايدت الهجرة الى مدينة كربلاء حيث ادى الى ظهور حالة التجاوزات على اراضي المدينة,وساعدت على محلات جديدة من دون ترخيص. وفي شهر نيسان (ابريل) 2006م تم تشكيل لجنة هندسية في محافظة كربلاء مهمتها وضع الشروط الخاصة بمشروع التصميم الاساسي الجديد للمدينة كربلاء المقدسة لدعوة المكاتب الاستثارة الهندسية العراقية والدولية لتقديم عروضها لاعادة تخطيط المدينة وفق خصائصها الاصلية.

---

1) المصدر نفسه ,ص104.

2) رشا مالك محمد نصر الله ,اثر تغيير انظمة مسارات الحركة في استعمالات الارض في مركز التقليدي لمدينة كربلاء,رسالة ماجستير في معهد التخطيط الحضري والاقليمي.جماعة بغداد.2001,ص48.

3- المشروع التطويري المقترح لمدينة كربلاء:

لما كانت مدينة كربلاء تعاني من مجموعة مشاكل , ولما تم تحديد مجموعة الحلول التي يمكن لها ان تكون فاعلة في السيطرة على مجموعة المشاكل تلك.من هنا اصبح بالامكان وضع مقترح لمشروع تخطيطي للمدينة ينظري على بعض التفاعل التصميمية على مستوى ألمخططات الوجهات والمقاطع ليكون هذا المقترح بداية متواضعة لمشاريع مستلقية يمكن لها ان تستند على هذا البحث.

حيث اوكلت مديرية التخطيط العمراني التابعة لوزارة البلديات و الاشغال العامة الى مركز العالمي للأبحاث الفنية مشروع تحديث التصميم الاساس لمدينة كربلاء وناحية الحر لغرض تحديث

التصميم الحالي ليكون مواكبا لتطور المدينة حتى نهاية سنة 2030 ووضع استراتيجيات تحدد عبرها المشاكل التي تواجه المدينة وحلول للتقاطعات الموجودة في الاقسام المختلفة من التطوير والتحديث لهذه المدينة ,ان الغرض من هذه دراسة والتخطيط ظ , محاولة لرفع مستوى مدينة كربلاء من وضعها الفعلي الى اعلى المستويات الممكنة لتكون في مصاف المدن النتقدمة ,وفي الوقت نفسه اعداد الدرسات ومن ثم التخطيط لحركة الزائرين من ساعة وصولهم الى حدود التصميم ثم نقلهم الى مركز المدينة من دون تقاطع بين هذه الحركة والحركة الطبيعية للمدينة وكذلك تامين مراكز الخدمات والسكن الملائم والقسم التجاري لهولاء الزائرين

الفكرة التصميمة :بنيت افكرة التصميمية على اساس المعطيات التي تم تشخيصها كمشاكل اساسية تعاني منها المدينة من خلال ما ياتي :

محاولة ايجاد فضاء مهيمن مركزي تنتهي اليه سائر فضاءات المدينة , بحيث يكون هذا الفضاء مستوعبا لصحني المرقدين الشريفين كصحن واحد كبير يضم المرقدين الشريفين بحيث يمكن في مناطق معينة ازالة جزء من السور المحيط بكلا المرقدين لاضفاء حالة من التواصل الفيزياوي والبصري وبالتالي تعزيز الشعور بالسيطرة الفضائية بالنسبة للسائح او الزائر الوقف ضمن هذا الفضاء.

(2)يرسم حدود ذلك الفضاء مجموعة ابنية ومنشات ذات وظيفة تجارية في طوابقها السفلى كما تستخدم لإغراض السكن وإيواء السياح في الطوابق العليا .... وبذلك يمكن الحصول على فائدتين:

الاولى :تعبيرية

أ- حيث ستؤشر هذه الحالة تواصل مع اسلوب تخطيط المدينة الاسلامية التي تنتهي فيها محور السوق بفضاء عبادات مهيمن مركزي .

ب – محاولة ايواء السائح في اقرب جزء من المرقد بحيث له ان يشعر بحالة من التواصل مع محيطة الحضري وبالتالي تعزيز شعوره بالسيطرة الفضائية.

الثانية: وظيفة / حيث سيتم استثمار المساحة المحيطة بالمرقد الشريفين بحيث توفر مردود اقتصاديا جيدا للمدينة ناتجا عن وفرات السياحة الدنية .هذا على ان يتم تخطيط هذه المنطقة وفق معطيات المدينة الاسلامية من خلال مراعاة محاور الحركة والمحاور البصرية ومبدا فضاءات الحركة والاستقرار وعزل العام عن الخاص ...الخ كما يمكن استخدام المطقة المتاخمة لكلا المرقدين لاقامة منشات ذات طابع ديني كان يكون اقامة مدرسة ديني كان يكون اقامة مدرسة دنية او حوزة علمية او متحف يعرض فيه مجموعة النفائس والهدايا المقدمة الى الضريحين او حتى مكتبة دينية .

(3)عزل حركة السابلة عن حركة السيارات مع محاولة ايصال الزائر او السائح الى اقرب نقطة من المرقدين الشريفين .

3-حل لمشكلة الفضائات المفتوحة المخصصة للممارسة الشعائر الدينية ,والذي سوف يعزز الشعور بالصيطرة الفضائية خلال المناسبات الدنينة .

(4) فصل حركة السالبة عن حركة السيارات اذ ان الفضاء المركزي عبارة عن مجموعة مواقف كبيرة لسيارات (تحت الارض)بحيث تبداء حركة السيارات تنفصل عن حركة السابلة في نقاط محددة مؤشر على المخطط ,وذلك لضمان الوصول الى اقرب نقطة على مرقدي الشريفين وذلك سعيا لمحاولت توفير اقصى خدمة وصول الى زوار المرقدين .

ان اهمية تطبيق اشكال تخطيطية مستوحاة من المدينة الاسلامية (الفناء الوسطي_التدرج في حركة _التدرج في الخصوصية .وغيرها) في المخطط الاساسي الجديد لمدينة كربلاء ضرورة ملحة وذلك من اجل الحفاض على خصوصية المدينة العربية الاسلامية ,وخاصة ان مدينة كربلاء لها خصوصية دينية مميزة من بين المدن العراقية والعربية.

ان المخطط الجديد قد وفر الكثير من المساحات المطلوبة لخدمات زوار وسكان المدينة واهمها

1-فضائات المفتوحة _1000000 م2

2-فضائات ايواء الزوار _ 500000 م2

3-مواقف السيارت _ 6500000م2

4-خدمات الزوار والتي تشمل :

أ- مرافق صحية _60000م2

ب- اماكن الطعام _ 500000م2

ج- اماكن استراحة_1000000م2

ان توفير مساحات خدمية وفضائات مفتوحة تشكل حوالي عشر المساحة المطلوبة سوف يساهم الى حد ما في حل المشكلة المهمة التي تواجه المخطط الاساسي الجديد في مدينة . ان مشروع التصميم الاساسي الجديد وتطوير مركز المدينة والذي يشمل المنطقة الواقعه بين الروضتين الحسينية وعباسية وما يحيطهما سوف يدمر الجزء القديم من المدينة بعد ان كان وحدة عمرانية متكاملة محوارها الروضتان معا .كما يضعف العلاقة المحورية بين اجزاء المدينة . اما من ناحية العمرانية فان ترابط العضوي بين عمارة الروضتين ومناطق المحيطة بهما يبدو حيا و دائميا في اطاريه الخاص والشامل , وذلك بحكم العلاقة بينهما , من ما جعل مدينة كربلاء تبدو حلوية في نشاطاتها وحركتها نتيجة لعلاقة بين المدينة والمركز الديني من ناحية الاقتصادية والاجتماعية وثقافية وعمرانية .

4-التغريب العمراني:

ان ابرز مشاكل المدينة القديمة في كربلاء تتجسد في تحويل المنطقة التي كانت غنية بالارث العمراني,والذي يمتد لقرون عديدة الى ساحة واسعة تحيطها الفنادق والمحلات التجارية والتي شيدت بدون دراسة عمرانية وتخطيطة مسبقة , حيث ازيلت جميع الابنية القديمة التي كانت تقع بين الروضتين وحولهما ,وبهذا فكك النسيج العمراني لهذه المنطقة,وخربت بعض اجزاءها وضيعت معالمها التاريخية,فاصبحت خليط غريب من الكتل البنائية بدون هوية معمارية , بل ان بعض ابنيتها ذات طابع غربي اجنبي,لا يمت باية صلة الى المدينة العربية الاسلامية.مما يهدد بتعريض المدينة القديمة الى فقدان خصائصها العمرانية الاساسية والتي كانت تمنحها هويتها التاريخية والحضارية والدينية.ان هذه المنطقة تكتسب اهمية مركزية في المدينة وذلك نتيجة لتدمير اكثر مراكز الفعاليات التجارية التي كانت تمتاز بها مدينة كربلاء.والتي اكسبتها خصوصية معينة كنقطة التمحور في العلاقة الحيوية بين المدينة القديمة والمناطق المحيطة بها وخاصة الاحياء الجديدة,والتي هي الاخرى تعاني من انتشار الطراز الغربي في الدور السكنية الجديدة,وخاصة التي بنيت بعد عام 1970 حيث استخدمت الشبابيك الواسعة ومواد البناء الجديدة(الاسمنت-الحديد-الكاشي..وغيرها)والتي لا تلائم البيئة العراقية الحارة والجافة. كما اصبحت المحلة السكنية مفككة بعد ان كانت في الماضي متضامة في ابنيتها واهلها,هذه المحلات الغريبة عن المدينة القديمة ادت الى التباعد بين احياء المدينة عمرانيا واجتماعيا.

كما ان تسقيف الروضة الحسينية ابعدها عن ميزتها العمرانية ,ذلك ان السقوف التي غطت الصحن الشريف قطعت التواصل بين الزائرين وبين السماء,كما منعت رؤية القبة الشاهقة والتي يصل ارتفاعها الى 37متر .

الاستنتاجات :يمكن ان نضع بعض الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث.

1-الارث الحضاري للمناطق التاريخية هو حاصل التجارب التايخية والثقافية والروحية الموروثة من جيل الى الجيل الذي يليه.

2-قدمت العمارة حلولا انسجمت مع معتقدات وطرق اساليب الحياة من حيث التواصل والترابط الحضري فالعناصر الموجودة في المناطق التاريخية ترتبط ارتباطا وثيقا بالعادات والتقاليد والقيم الحضاري والدنية للمجتمع .

3-المراكز التاريخية للمدن العربية عموما والعراقية خاصة بدات تفقد خصائصها الحضرية وملامحها العمرانية نتيجة اقتباس المفاهيم الحضرية الغربية و اقحامها بشكل قسري على الهيكل الحضري لها وتمزيق النسيج و انشاء ابنية حديثة ذات اطوار غربية ,فضلا عن سوء الاستعمال وعدم الصيانة و الاهمال الواضح.

4-لعب العامل الديني دورا مهما في ظهور مدينية كربلاء وتشكيلها , فقد نمت المدينة بفضل التراكمات الثقافية الدينية التي عمل الانسان على خلقها وبالتالي وجدت هذه المدينة وعاشت وتوسعت.

5-مرت مدينة كربلاء بمراحل عديدة ومنعطفات مختلفة منذ نشوئها حتى يومنا, وتركيبها العمراني مر بثلاث مراحل مهمة الاولى هي مرحلة النشوء التي تميز النسيج الحضري فيها بعضوية واعتماده بمبدء الانفتاح نحو الداخل اما المرحلة الثانية فحدث توسع في المدينة وزادت مساحة الاستعمال التجاري نتيجة لشق الشوارع الخطية ,اما المرحلة الثالثة فحدثت توسعات عمرانية كبيرة وتميزت توسعاتها باعتمادها النظام الشبكي بسبب الهدم و الازالة التي تعرض لها النسيج .

التوصيات :يمكن الخروج ببعض التوصيات واهمها.

1-ضرورة المحافظة على الشكل العمراني للحفاظ على التراث الموجود والعمل على تطويره وتوفير الخدمات اللازمة لهذه المناطق مع الحفاظ على الطابع المعماري المميز .

2-ايجاد برامج للتوعية ورعايتها على كافة المستويات كافة من اجل ضمان نجاح عملية الاحياء والتجديد الحضري.

3-تاسيس بنية تحيتة للسياحة في مدينة كربلاء ,وايجاد خطوط سياحية تغطي كافة المناطق التاريخية , واستمرار مردودها المادي في الحفاظ على التراث التاريخي من اجل الاستفادة منها وتطويرها .

4-تحديث التصاميم التطويرية لمدينة كربلاء بشكل عام والتركيز على وضع تصميم لمركز المدينة (المدينة القديمة)يهدف لتطوير المنطقة وفق معايير عمرانية تتناسب واهمية هذه المنطقة , ويساعد على اعطاء حلول جذرية لمشكلات المنطقة وعلى المدى الطويل.

قائمة المصادر:

1. الانصاري , رؤوف محمد علي ,عمارة كربلاء_دراسة عمرانية وتخطيطية , مؤسسة الصالحاني للطباعة , دمشق ,2006.

2.حمدان ,جمال , جغرافية المدن ,عالم الكتب ,القاهرة ,1972.

3.الدليمي ,خلف حسين علي,التخطيط الحضري ,دار الثقافة,عمان 2002.

4.السيد,السيد عبد العاطي علم الاجتماع الحضري-مداخل نظرية- دار المعرفة الجامعية, الاسكندرية,1988.

5. السعدون , عبد الجليل ضاري ، الموسوي ، سعاد عبد ، ، مجلة كلية التربية / جامعة واسط ، العدد الثامن 2012

6. شمطو ,سمير خليل ,دليل كربلاء السياحي2011,مطبعة الطف,كربلاء المقدسة.

7.عبد الرزاق ,جنـان عبـد الوهـاب, جدليـة التواصـل فـي العمـارة العراقيـة , دار الشـؤون الثقافيـة العامـة ,بغداد ,2003.

8. القره غولي ,مصطفى عبد الجليل, دراسة وتحليل التفاعل الوظيفي بين استعمالات الارض الحضرية ,اطروحـة دكتوراه في معهد التخطيط الحضري واقليمي ,جامعة بغداد ,2004.

9. نصر الله .رشا مالك محمد اثر تغيير انظمة مسارات الحركة في استعمالات الارض فـي مركـز التقليـدي لمدينـة كربلاء,رسالة ماجستير في معهد التخطيط الحضري والاقليمي.جماعة بغداد.2001.

10.مطر ,سليم واخرون ,موسوعة المدائن العراقية , مركزدراسات الامة العراقية ,بغداد,2005.

11. شمطو ,سمير خليل ,دليل كربلاء السياحي2011,مطبعة الطف,كربلاء المقدسة.